الفصل الرابع والعشرون

معرفة الماضى فى القرنين الأخيرين [1]

مؤرخو اليونان

بوليبيوس :

كان پوليبيوس بلا نزاع أعظم مؤرخ فى القرن الثانى (النصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد) ، بل لعلنا نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول إنه أحد عظماء العصر القديم ، تأتى منزلته مباشرة بعد هيرودوت وثوكيديديس اللذين ازدهرا قبله بثلاثة قرون . وإلى جانب أهميته لذاته ، يعدّ كذلك رمزاً لعصر جديد ، نعنى أول عصر للعالمية الغربية ، العصر الذهبى للجمهورية . ومن التناقض أن يكون أول من أعلن رسالة روما وعظمتها يونانيا ، أذاع ذلك بلغته اليونانية ، لا باللغة اللاتينية .

ولد پوليبيوس حول ٢٠٧ فى ميجالوپوليس بأركاديا ، مما يدل على عراقته فى يونانيته . وأركاديا إقليم واسع نسبيًّا ، يشغل الجزء الأوسط من البلوبونيز ، ويفصله عن غيره من الأقاليم سلاسل من الجبال . أما أهله فكانوا يعدون أنفسهم أقدم اليونانيين وأعرقهم أصلا . وكانوا فى الأغلب زراعاً ورعاة ، مهمتهم الأساسية تربية الماشية ورياضتهم الأساسية الصيد ، وآلهتهم الأساسية « بان » و « أرتميس » ، وفنهم الأثير ، الموسيقى [2] . وقد استطاع الأركاديون الدفاع عن استقلالهم زمناً أطول من غيرهم من اليونانيين وهزموا عدة مرات أكثر جيرانهم خطراً ، وهم اللقدمونيون (الإسبرطيون) إذ بدد بطلا طيبة آمالهم حين أخرج البطل پيلوبيداس الإسبرطيين من طيبة سنة ٣٧٩ ، وهزمهم البطل إيپا مينونداس فى ليوكترا سنة ٣٧١ . وقد اتبع الأركاديون نصيحة ايپا مينونداس

فابتنوا عاصمة جديدة حصينة سموها « ميجابوليس » (أى المدينة الكبيرة) . ثم انضموا بعد ذلك إلى الحلف الآخى ، وشاركوا فى مساوئه ، إلى أن انتصرت عليهم روما آخر الأمر .

ولنعد مرة أخرى إلى پوليبيوس ، وإن كان من المفيد أن نراه من خلال بيئته . فلقد كانت الحروب مع إسبرطة وروما حقائق رهيبة بالنسبة إليه . ونقشت فى أعماق قلبه ذكريات أحد عظماء الأبطال الوطنيين ، وهو فيلوبويمين [٣] . وكان ليكورتاس والد پوليبيوس ، صديق فيلوبويمين وخليفته فى رياسة الحلف الآخى ، هزم المسينيين سنة ١٨٢ وأرغم الإسبرطيين على دخول الحلف . إن أبا على شاكلة ليكورتاس ليجعلنا على يقين من أن پوليبيوس تلقى عنه أفضل تربية ممكنة ، كما أخذ عنه أروع المثل ، أما الرومان فقد جعلت منهم الحروب المقدونية [٤] أعداء مألوفين . وانتهت الحرب الثالث بانتصار پيندا [٥] والتى انتصر فيها إميليوس پاولوس المقدونى سنة ١٦٨ على برسيوس ملك مقدونيا . وقد احتفل پوسيوس بانتصار پاولوس احتفالا عظيماً فى روما ، وأهم من ذلك أن مكتبته اليونانية أصبحت من نصيب پاولوس الذى استخدمها فى تعليم أكبر ابنيه وهما : فابيوس،وسكيپيو إميليانوس أفريكانوس . [٦] ثم أخذ ألف شخص ضيوف شرف إلى روما ، وكان منهم پوليبيوس وهو فى سن الأربعين . ونظراً لشرف أسرته وارتفاع منزلته استضافته أسرة المنتصر ، فنزل معززاً مكرماً فى بيت سكيپيو إميليانوس ، مؤسس « الحلقة السيبية » [٧] وزعيمها ، وهى جماعة من أرقى المثقفين الرومان ، وأعظم المعجبين بالآداب اليونانية ، والمشجعين للآداب اللاتينية . وكان الرواقيان پوليبيوس الذى نتحدث عنه وپاناتيپوس ، من أبرز أعضائها . ومن أعضائها اللاتين جايوس لوكيليوس (١٨٠ — ١٠٢) الشاعر الهجائى ، تيرنتيوس (١٩٥ — ١٥٩) الشاعر الدرامى ، وشيشرون . ولسنا نغالى حين نؤكد أهمية تلك الحلقة فى صبغ روما بالصبغة اليونانية وتنمية الفلسفة والأدب اللاتينيين ، والثقافة الرومانية . وانظر كيف كان من حظ پوليبيوس أن أقام فى صميم

الحياة العقلية الرومانية ؛ فقد قضى ثمانية عشر عاماً فى روما (من ١٦٨ — ١٥٠ ق.م أى من سن ٤٠ إلى ٥٨) ، وسنحت له الفرصة فى أثنائها أن يلتقى بكل قادة الفكر ، من يونانيين ورومانيين ؛ مقيمين بالمدينة أو زائرين . مثال ذلك أنه فى سنة ١٥٥ أتيحت له فرصة لقاء أعضاء السفارة الأثينية كارنياديس الأكاديمى ، وديوجنيس البابلى ، وكريتولاوس المشائى. وفى سنة ١٥٠ حصل على إذن بالرحيل ، وإن كان لا يعتبر منفياً بعد هذا الزمن ، بل أمسى رومانياً أكثر من الرومان . بارح روما ؛ ورحل إلى الخارج ؛ ولكنه كثيراً ما كان يعود ليقطن مع صاحبه سكيپيو إيميليانوس أو ليصحبه فى معاركه . وكان معه سنة ١٤٦ عندما فتحت قرطاجنة ونهبت . وبعد أن دمر موميوس كورنثه فى السنة نفسها ، دعى پوليبيوس للمساعدة فى إعادة تنظيم اليونان . (Historiai, XXXIX, 13 f) فأدى مهمته هناك (١٤٦ — ١٤٥) ، ثم أكملها فى روما . وهذا نص عبارته (XXXIX, 19)

« بعد إتمام هذه الأعمال عدت من روما إلى موطنى [٨] . وكأن ما قمت به قد توج كل أعمالى السياسية السابقة ، وظفرت بعودة مجيدة للدوام ولا نى للرومان . وعندئذ تقدمت بالدعاء إلى كل الآلهة أن تستمر بقية حياتى فى الطريق نفسه والازدهار عينه ، فقد تبين لى أن القدر يحسد البشر ، وأنه على استعداد أن يظهر قوته فى تلك الأمور التى يخيل إلى المرء أنه بالحصول عليها يكون فى غاية النعمة والنجاح فى الحياة[٩] .

وليس معروفاً أين قضى بقية حياته ، ولكنه وهو فى الثانية والثمانين من العمر سقط من على ظهر جواده مما أدى إلى وفاته . (حول ١٢٥ ق.م) .

صنف كتباً متعددة ، وخلد بواحد منها كتبه فى المدة من ١٦٨ إلى ١٤٠ ، وهو كتاب فى التاريخ العام (Historiai) يصف الغزو الرومانى لجزء كبير من العالم فى نصف قرن أو يزيد (٢٢٠ — ١٦٨) ويبين كيف أصبح المؤلف رومانياً بعد ذلك ، من ١٦٨ إلى ١٤٦ بعد الانتصار على اليونان وقرطاجة . ويقع المصنف فى أربعين جزءاً ، لم يصلنا منها إلا

الخمسة الأول ، واحتفظت شذرات من الباقى (من السادس إلى الأربعين) فى كتابات ليفى (النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد) وديودوروس (النصف الثانى من القرن الأول) وپلوتارك (النصف الثانى من القرن الأول بعد الميلاد) ، وأبيان (النصف الثانى من القرن الثانى بعد الميلاد) . والكتابان الأول والثانى عبارة عن مقدمة يروى فيها حوادث من الوقت الذى توقف فيه تيمايوس سنة ٢٦٤ فى أثناء الحرب البونية الأولى (٢٦٤ — ٢٤١) ، والحلف الآخى . وتصف الكتب من الثالث إلى الثلاثين غزوات الرومان ، حتى معركة پيندا سنة ١٦٨ (وقد عانى پوليبيوس كثيراً من هذه المعركة فى مقدونيا) . وتحكى الكتب من الواحد والثلاثين إلى التاسع والثلاثين الأحداث من ١٦٨ إلى ١٤٦ . والأرجح أن الكتاب الأربعين عبارة عن نظرة عامة وتلخيص للمصنف جميعه محدود بحوليات الأولمبياد[١٠] .

ولا تعنينا التفاصيل كثيراً ، ويكفى أن نقول إن تاريخ پوليبيوس يصف « العالم » كما عرفه من سنة ٢٦٤ إلى ١٤٦ ق.م، أى ١١٨ عاماً فى غاية الأهمية . وكان غرضه فنيًّا تماماً ، هو تعليم السياسة العملية لرجال السياسة والموظفين المدنيين . وكانت تجربته أكمل ما تكون ؛ لأنه قضى مرحلة النشأة والتكوين بل جاوزها (٤٠ عاماً) ، فى اليونان ، حيث شهد نتائج الفوضى السياسية ، ثم الأربعين السنة التالية فى روما أو فى رحلات لا يلبث أن يعود منها دائماً إلى روما . أكثر من الرحلة إلى اليونان ، وإيطاليا ، ومصر ، وصقلية ، وموريتانيا ، وإسبانيا ، والجال ، وربما إلى إنجلترا ، فلا غرابة أن يكون جيد المعرفة بالأقاليم والأماكن . وكان شاعراً تماماً بضرورة وصف البيئة الطبيعية للمحاولات الحربية أو الإدارية ، كما كان مزوداً بما يكفل له وصفها وصفاً صحيحاً ، إذ قرأ كل كتاب له صلة بهذا الموضوع باللغة اليونانية أو اللاتينية ، ووقع تحت يديه كثير من الوثائق العامة والخاصة . وأخيراً — وهذا هو الأهم — كان على صلة شخصية فى البداية ببعض قادة اليونان ، وفى الحلقة السيبونية بعد ذلك بقادة روما والعالم كله . . عرف حقائق الحرب والسلم ، ومشكلات

الاستراتيجية ، والتكتيك ، والدبلوماسية، ومقتضيات المفاوضات السياسية. ولقد تميز بعدم التحزب ، فهو يونانى حاول إنقاذ بلاده أطول وأكثر ما يمكن ولكنه عرف نقطة ضعفها ، كأحسن ما يستطيع مواطن أن يعرف . ومن جهة أخرى كانت مزايا النظام الرومانى ووحدته واضحة له . وعرف أن عقيدة روما الوطنية هى الإخلاص للوحدة وحسن الدفاع عنها ، وأن الحكام كانوا يستخدمون المؤسسات الدينية لإخضاع الجمهور (VI, 56) . وإذا كان اليونان لم يضيعوا حقهم فى حكم العالم فحسب ، بل فقدوا أيضاً حماية استقلالهم نفسه ، فلم يكن ثمة مخرج من الفوضى السياسية إلا الثقة بالقيادة الرومانية .

ونحن نجد آراءه العامة مشروحة فى بعض الأجزاء التى تعترض الرواية التاريخية . مثال ذلك أنه ناقش فى الكتاب السادس الدستور الرومانى ، وفى الكتاب الثانى عشر النظريات التاريخية ، وفى الكتاب التاسع والثلاثين جغرافية البحر المتوسط .

التقى فى الحلقة السيبونية ببناتيوس وغيره من الرواقيين ، ولعله لقى بعضهم قبل مبارحته اليونان ؛ إذ كانت فلسفته وسياسته وديانته رواقية . ولقد حاول تفسير مساوئ الحياة ، وبيان أسباب الحوادث ، ولكن تبين أن كثيراً منها ، وبعضها فى غاية الأهمية، يرجع إلى المصادفة أو الحظ[١١] ولا يمكن تحليله. أما بعضها الآخر فيمكن تحليله ، ومن الخير أن نفعل ذلك . مثال ذلك أنه يمكن تعيين مزايا أفراد معينين أو نقائصهم ، وبخاصة قوة إرادتهم ، وكذلك فضائل كل دولة ورذائلها ودساتيرها وإدارتها . بل إنه حاول تفسير التطور العام (anacyclosis) . واستلهم فى ذلك اعتقاد الرواقيين فى نظام الدورات التى قد تتكرر أو لا تتكرر[١٢] .

كان پوليبيوس مؤرخاً علمياً مثل ثوكيديدس، وإن كان دونه فى قوة الفكر وصفاء اللغة ، ولعله يعلو عليه من ناحية أنه لم يسلك مثله المسلك الخطابى كما صنع ليڤى من بعد. لأنه لايتفق مع الضبط والدقة . فهو باحث قبل أن يكون أديباً ، وعالم يشارك العلماء فى ثقتهم بأن الحقيقة ، إن أمكن بلوغها ، هى التى

ستسود . وانتقد أسلوبه من قديم فقال ديونيسيوس الهاليكارناسى (النصف الثانى من القرن الأول ق.م) : إن بوليبيوس من المؤلفين الذين تصعب متابعة قراءتهم إلى النهاية . الحق أن الكتاب ، كما يرى صاحبه ، دراسة (pragmateia) فى السياسة العملية ، ولذا عجز ديونيسيوس عن إدراك الصعوبات والدقائق التى يواجهها صاحب العقلية العلمية ، ولا جدوى من الزخارف اللفظية فى بحث علمى .

كان بوليبيوس على ثقافة عالية ، يعرف لغته كأى يونانى فى زمانه . ولم تكن اليونانية لعهده لغة أتيكا التى سادت فى القرن الرابع ، بل أسلوباً مشتركاً ينطق به المهذبون فى جميع أنحاء العالم اليونانى منذ القرن الثالث . وقد حاول أن يدون ما يريد أن يقوله بأوضح ما يستطيع ، واجتهد فى تحقيق ذلك ، فلم يحاول تسلية قرائه أو التأثير فيهم بالبلاغة الأدبية ، وإنما قصد إلى تعليمهم .

ومن المحتمل أن النص اليونانى لكتابه فى التاريخ كان تحت يد الباحثين الذين عملوا تحت رعاية قسطنطين السابع البرفرجينى (النصف الثانى من القرن العاشر) . وقد نفد كثير من المخطوطات عندما نهب الصليبيون القسطنطينية سنة ١٢٠٤ . وأقدم المخطوطات الباقية هو مخطوط الفاتيكان رقم ١٢٤ ، ويرجع تاريخه إلى القرن الحادى عشر ولا يحتوى إلا الأجزاء الخمسة الأولى . وقد شرع ليوناردو برونى الأريزى (١٣٦٩ — ١٤٤٤) فى ترجمة الكتاب إلى اللاتينية ، وإلى البابا نقولا الخامس خاصة (بابا ١٤٤٧ — ١٤٥٥) يرجع الفضل فى الاهتمام بپوليبيوس ، فهو مؤسس مكتبة الفاتيكان ، وهو الذى شجع نقولا بيروتى الساسوفيراتى (١٤٣٠ — ١٤٨٠) على أن يترجم الأجزام الخمسة الأولى ترجمة جديدة طبعها سوينهيم وبنارتز فى روما سنة ١٤٧٢ (انظر ٨٦) وطبع فنستيوس أو بسوسبيوس الأصل اليونانى للكتاب (هاجتو ١٥٣٠) (انظر شكل ٨٧) .

والمراجع الخاصة بپوليبيوس معقدة جداً ، نظراً لأن كشف أجزاء الكتاب المفقودة تم تدريجياً ، وطبعت عدة طبعات متلاحقة باليونانية أو مترجمة

Polybii Historiarum liber sextus finit. Incipit Tertius feliciter.

Actus est a nobis i primo libro ostensū q̄ sociale Annibalisq; & Syriacum bellū uelut principia ac fūdamēta rerū a Romānis gestarū fuerecimus ubi etiā reddite sūt causę: que nos ut repetitus altius p̄incipiū sexti libri historiā cōnecteremus ipulere. Nūc uero ipa bella: cāsq; a quibus & orta sūt: & tā lōge late q̄ diffusa demōstrare conabimur si prius conatū populo R. q̄ breuius fieri poterit expo/ suerimus. Nam cum unum opus ac uelut unū spectaculum sit q̄ scribere aggressi sumus quo pacto: quando: aut quamobrem: uniuersę orbis partes in populi Romani ditionem peruenere: id q̄ & principium cognitum habeat: & tempus definitum: & finem certū profecto utile existimauimus: rel etiam que intra principiū ac finem huiusmodi bellorū gesta sūt duntaxat memoratu digna summatim commemorare: Erati per hunc modum studiosos nostri operis totius historie cognitionem facilius adipisci posse. Multa siquidē animus noster ex uniuersalis historie cognitione ad particularium rerum historiam necessaria percipit: nec parum etiam particularium rerū peritia: ad uniuersalis historie scientiam cōferre: Quod si utrunq; inuicem iunctum uelut unum ex ambobus facē prebeat incredibilem sane legentibus fructum affert. Verum nec quidem summa totius operis tanti superq; duobus superioribus libris diximus: Particularium uero rerum que medio tempore inter fuerunt: principia quidem sunt hec que supramemorauimus bella: finis uero: Regum Macedonie interitus: Tempus inter principiū finemq; medium: anni quinquaginta: Intra quos tales ac tante res gestę sunt: quales quantasq; superior etas intra tam breue tēporis spatium nunq̄ tulit: De quibus nos a centesima & quadragesima olympiade scribere incipientes hūc ordinē seruabimus. Principio ostendemus causas unde id bellum quod Annibalis appellatur inter Romanos ac Cartaginenses oriri cepit. Vt Cartaginenses Italiā ingressi maximum in discrimen populum Romanum adduxerūt ut repente inciderunt in spem non solum reliqua Italia: sed ipsa etiā urbe Roma potiundi. Post hec exeq conabimur quo pacto

شكل ٨٦ — تاريخ اليونان وروما ، تأليف پوليبيوس (النصف الأول من القرن الثانى ق . م) . وأقدم طبعة هى الترجمة اللاتينية للأجزاء الخمسة الأولى قام بها نقولا بيروتى

Folio; Rome: Sweynheym and Pannartz 31 Dec. 1473

وأهداها للبابا نقولا الخامس (بابا ١٤٤٧ — ١٤٥٥) الذى منحها رعايته .

إلى لغات أخرى . وآخر الطبعات (الكاملة) للنص اليونانى أعدها فريدريش دوبنر مع ترجمة لاتينية وفهارس جيدة (مجلدان ، باريس ، فرمان ديدو ، ١٨٣٩) ، وفريدريش هلتش (٤ مجلدات ، برلين ، فيدمان ، ١٨٦٦ —١٨٧٢) وتيودور بتربوست (٤ مجلدات ، ليبزج ، تيبنر ١٨٦٧ — ١٨٨٩)، وراجعها لودفج دندروف (٥ مجلدات ، تيبنر ، ١٨٨٢ — ١٩٠٤) . وراجعها مرة ثانية بتنر — وبست (٥ مجلدات تيبنر ١٨٨٩ — ١٩٠٤) .

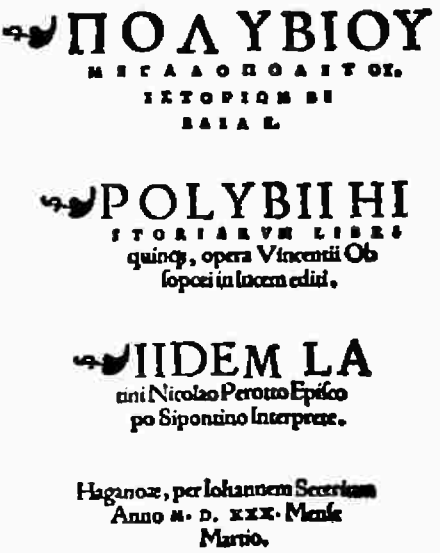
ΠΟΛΥΒΙΟΥ
ΜΕΓΑΛΟΠΟΛΙΤΟΥ
ΙΣΤΟΡΙΩΝ ΒΙΒ
ΒΑΙΑ Ε.

POLYBII HI
STORIARVM LIBRO
quinq; opera Vincentii Ob
sopoci in lucem editi.

IIDEM LA
tini Nicolao Perotto Epifco
po Sipontino Interprete.

Haganoæ, per Iohannem Secerium
Anno M. D. XXX. Menſe
Martio.

شكل ٨٧ — پوليبيوس (النصف الأول من القرن الثانى ق . م) . صفحة العنوان فى الأصل اليونانى لكتابه فى التاريخ . طبع الأجزاء الخمسة الأولى Vincentius Obsopocus Hagenau : Johannes Secerius, 1530 (ورق من حجم صغير ، ٢٧ سم) ، ومعها ترجمة لاتينية قام بها Niccolo Perotti يقع النص اليونانى فى ١٠٦ ورقات ، وهو مهدى إلى Georg der Fromme, Markgraf von Brandenburg. ويقع النص اللاتينى فى ١٤٢ ورقة ، وهو مهدى للبابا نقولا الخامس .

وقد ترجم لويس ميجريه الأجزاء الخمسة الأولى إلى الفرنسية (باريس ١٥٥٢) وترجمه پيير فالتس أخيراً ترجمة كاملة (٤ مجلدات ، باريس ١٩٢١).

ترجم كرستوفر وطسن الأجزاء الخمسة الأولى إلى الإنجليزية (لندن ١٥٦٨) وترجمه إفلين شوكبرج ترجمة كاملة إلى الإنجليزية لأول مرة (مجلدان لندن ، مكملان ١٨٨٩) . وترجمه و . ر. بافرن أخيراً مع النص اليونانى إلى الإنجليزية (لوب ٦ مجلدات ، كمبردج مطبعة جامعة هارفارد ١٩٢٢ — ١٩٢٧) .

المؤرخون اليونان الآخرون :

أثر پوليبيوس فى جميع خلفائه ، فيما عدا سترابون فى الغالب الذى ضاع

كتابه فى التاريخ . وما أهدف إليه هو إعطاء فكرة عامة عن نشاطهم دون الوقوف طويلا عند كل واحد منهم .أما المؤرخون الذين يمكن مقارنتهم بپوليبيوس فهم الذين كتبوا باللاتينية (فى القرن التالى) مثل قيصر ، وسالوست وليڤى .

وفى كثير من الأحوال ليست كتابات المؤرخين اليونان الآخرين معروفة إلا على صورة شذرات . ولكى ألقى الضوء على الجهاز النقدى لكتابى سأشير ههنا ببساطة إلى المجموعات العامة للشذرات التى يمكن الرجوع إليها بسهولة .

هناك أولا المجموعة الرائعة المنشورة باليونانية مع ترجمة لاتينية قام بها كارل وتيودور موللر بعنوان :

Fragmenta historicorum graecorum (5 vols, Paris : Firmin Didot, 1848—1872

وقد أسدت هذه المجلدات خدمات لا تحصى للباحثين أكثر من قرن . أما ما جرى عليه العرف حديثاً من الاستخفاف بها فإنه أمر مخجل حقاً . ولما كان الأخوان موللر رائدين فى هذا المضمار فقد تعرض عملهما لكثير من أخطاء الحذف أو الزيادة ، التى يحلو لبعض المتحذلقين الكشف عنها . ولا نزاع فى أن الأخطاء يجب تصحيحها ، ولكن بغير غرور أو جحود للفضل .

وقد بدأ فيلكس باكوبى (١٨٧٦—) إصدار مجموعة جديدة بعنوان :

Die Fragmente der griechischen Historiker (Berlin, Wiedmann, 1923).

وصدر المجلد الثالث ب فى ليدن — للناشر بريل ١٩٥٠ ، بالنص اليونانى فقط .

بوليبيوس الطروادى وأجاثرخيديس الكنيدى :

كان هذان الرجلان اللذان ازدهرا فى النصف الأول من القرن الثانى ق. م فى بدء أمرهما جغرافيين ، ولكن نظراً لاهتمامهما بالآثار يمكن اعتبارهما مؤرخين.

وهذا صحيح بوجه خاص عن بوليون بريجيتس الذى كان ينسخ فى الكتابات اليونانية . ولعله كان أول ناسخ للنقوش . (١٣) ارجع إلى ما كتبته عنها فى الفصل ٢٣ .

أبوللودورس الأثينى :

أبوللودورس (النصف الثانى من القرن الثانى ق.م) أمضى شطراً من حياته فى الإسكندرية وشطراً آخر فى برجامه . والأرجح أنه تتلمذ فى الإسكندرية على الفيلولوجى المشهور أريستارخوس الثاموسراسى (النصف الأول من القرن الثانى ق.م) . وحول منتصف القرن رحل إلى برجامه حيث أهدى إلى أتالوس الثانى فيلادلفوس (تولى الملك من ١٥٩ — إلى ١٣٩) تاريخاً بالشعر (Chronica) من سقوط طروادة إلى سنة ١٤٤ (ثم زاد فيه إلى ١٩٩) . وقد استقى جزءاً من تاريخه من أراتوستنيس . كان فيلولوجياً وملماً بتاريخ الخرافات ، كما كان مؤرخاً وكتب تعليقات على قدماء الشعراء مثل إيخارموس الكوسى (٥٤٠ — ٤٥٠) ، وسفرون السيراكوزى (ازدهر ٤٦٠ — ٤٢٠) الذى ابتدع ضرباً من الكوميديا (ميموس) ، وأهم من كتب عنه هو هوميروس ؛ فشرح مثلا أصناف السفن التى تكلم عنها . وأعظم أعماله تاريخ الآلهة (Peri theon) فى ٢٤ جزءاً ، وهو ضرب من دائرة معارف تبحث فى الميثولوجيا اليونانية . وقد أصبح مثل هذا العمل ضرورياً أكثر من ذى قبل ، لأن المثقفين أمسوا لا يعرفون قصص الآلهة كما كان آباؤهم يعرفونها ، وأسوأ من ذلك أنهم أخذوا لا يعتقدونها وكان أبوللودورس رواقياً حاول تأويل الخرافات بعبارات معقولة .

لنحذر أن نخلط بين هذا المصنف وبين مصنف غيره كتبه أبوللودورس آخر بروح مختلفة جدا . أقل معقولية ، وأكثر ميثولوجية على نحو متخصص ، وأبوللودورس هذا أثينى أيضاً ، أو على أية حال كان يسمى أبوللودورس الأثينى (١٤) ومصنفه المعروف باسم « مكتبة أبوللودورس » (Apollodòru bibliothèc) من تأليف متأخر يمكن أن نؤكد أنه بعد الميلاد . ويرجع تاريخه إلى القرون الثلاثة

الأولى ، ومن المحتمل أن يكون فى عهد هادريان (الإمبراطور من ١١٧ إلى ١٣٨) ، وربما تأخر عنه ، أى فى عهد اسكندر سيفيروس (الإمبراطور ٢٢٢–٢٣٥) . ولا يمكن تحديد زمنه بناء على النص ، لأن أحدث الحوادث المشار إليها فيه هو موت أوديسيوس وعودة هيراكليداى (وهى أحداث سابقة على التاريخ ولا يمكن تحديدها زمنيًّا) . ولا محل هنا « لمكتبة أبوللودورس » بحال ، ولم نعرض له إلا لنستبعد الخلط بينه وبين كتاب أبوللودورس الأقدم عن الآلهة . وقد كان من الناحية العملية مجهولا فى الزمن القديم ، وأول باحث أشار إليه هو فوتيوس (النصف الثانى من القرن التاسع) فى مكتبته الخاصة . أصدره فى طبعته الأولى (باليونانية مع ترجمة لاتينية) ، بنيدكت أيجيوس (Rome : Ant. Bladus, 1555) وأعيد طبعه عدة مرات لأنه لعب بخيال القراء فى عصر النهضة . والرجوع إلى الطبعة الإنجليزية مع الأصل اليونانى ميسور فى مكتبة الدراسات الكلاسية المعروفة باسم « لويب » ، وقد اضطلع بالترجمة جيمس جورج فريزر (مجلدان — ١٩٢١) [١٥] .

بوسيدونيوس (النصف الأول من القرن الثانى ق. م) :

شرع يوسيدونيوس فى سنة ٧٤ يحرر تاريخاً عاماً يعد صلة لتاريخ پوليبيوس ، ويؤرخ للفترة من ١٤٤ إلى ٨٢ . وقد اشتمل ما كتبه على كثير من التفاصيل ، ولكنه كان أقرب إلى السطحية منه إلى العمق ، بمقدار ما تسمح الشذرات الباقية للحكم عليه . وكانت بعض التفاصيل رائعة وغير متوقعة ، مثال ذلك أنه رد التدرج الطبقى عند الكلتيين إلى طوائف ثلاث : الشعراء ، والأنبياء ، والسحرة . وحاول تفسير التحالف الفكرى بين أثينا ، ومثريداتيس ضد روما . وأبقى أعماله ما دونه فى ميدان الجغرافيا .

كان پوسيدونيوس محاضراً شعبيًّا ومعلماً ناجحاً (جلس تحت قدميه بومبى كما جلس شيشرون) . وفى شهرته كرجل من رجال العلم وزعيم للرواقيين فى رودس ما أضفى عليه جلالا وسلطاناً لا يستحقهما بالفعل . فعده المعجبون به

أعمق فيلسوف فى زمانه ، بل لقد ذهبوا إلى القول بأنه أرسطو جديد . (١٦) ومن الواضح أنه كان عاجزاً كمعظم معاصريه عن التمييز بين الواقع والأمور العجيبة . ولا نستطيع أن ندفع الشعور بأنه واحد ممن بولغ فى تقديرهم ، كما يحدث فى أى مجتمع ، ولكن القدر اليسير الذى وصلنا من مؤلفاته لا يسمح بتحويل هذا الشعور إلى يقين .

وقد نشر فيلكس ياكوبى كل ما وصلنا من الشذرات التاريخية تحت عنوان:

Fragmente der griechischen Historiker, vol. 2 A (1926), pp. 222-317.

كاستور الرودسى (النصف الأول من القرن الأول ق.م.) .

كان كاستور معاصراً لبوسيدونيوس ، ازدهر فترة من الزمن فى رودس ، ولا ندرى من أين جاء إليها . تزوج فتاة من أسرة ديوتاروس التى تولت الحكم لحساب الرومان فى الإقليم الرابع من جالاتيا ، وأدى خدمات لبومبى ، ثم دعى فى بلاط قيصر للشهادة ضد ديوتاروس ، الذى انتقم منه فيما بعد وقتله . كتب كاستور تاريخاً (Chronica) فى ستة أجزاء، وألحق به جداول تاريخية ابتداء من المؤسسين الأسطوريين لبابل ونينوى، وهما بيلوس ونينوس ، حتى سنة ٦١ ، مما يجعلنا نستنتج أنه لم يمت إلا بعد ذلك التاريخ . والجداول التى أوردها مهمة كجزء من التراث التاريخى الذى وصل إلى المؤرخين المسيحيين ، أمثال يوسيبيوس (النصف الأول من القرن الرابع) ، وإلى مؤرخى العصر الوسيط ، وعصرنا هذا .

كان كاستور آخر مؤرخ يونانى فى القرن الثانى . وثمة خمسة آخرون فى القرن الأول يستحقون الذكر ، جاءوا من خمس جهات مختلفة من العالم وهم ديودور الصقلى ، ونيكولاوس الدمشقى ، وديونيسيوس الهلكارناسى ، وسترابون الأمامى ، وجوبا النوميدى .

ديودور الصقلى :

عاش فى النصف الثانى من القرن الأول ، ويسمى الصقلى لأنه ولد فى

أجريون[١٧] حوالى سنة ٨٥ . ولكنه عاش معظم حياته فى روما ، وازدهر فى حكم قيصر وأغسطس حتى سنة ٢١ ق .م أو بعدها . أتم سنة ٣٠ ق.م ، بعد ثلاثين عاماً من السياحة والدراسة، تصنيف كتاب فى تاريخ اليونان جمعه من مقتطفات تاريخية وسماه « المكتبة التاريخية »[١٨] (Historiòn bibliothècè) وكان المفروض أن يستعرض الماضى كله من البدء حتى زمانه . وقسمه ثلاثة أجزاء : ١ — قبل حرب طروادة (٦ كتب) . ٢— من حرب طروادة إلى موت الإسكندر (١١ كتاباً) . ٣ — من ٣٢٣ إلى بداية غزو قيصر لبلاد الجال سنة ٥٨ (٢٣ كتاباً) ، وهو بذلك يشمل أربعين كتاباً ، بقى منها خمسة عشر ، إلى جانب شذرات من الأخرى ، والموجود بالفعل الكتب الخمسة الأولى من الجزء الأول . وسبعة من الجزء الثانى تشمل السنوات من ٤٨٠ إلى ٣٢٣ ، وثلاثة من الجزء الثالث تؤرخ للسنوات من ٣٢٣ إلى ٣٠٢ . كان المشروع بذلك الوضع فسيح الأمل ، لأن ديودور أراد أن يصف نصيب كل أمة ، ولكن وصفه كان خالياً من النقد ضعيف المستوى الفكرى ، فلم يكن لديودور نظرات عامة ، كما كان أسلوبه ضعيفاً كفكره ، ومع ذلك احتفظ بعدد من الوقائع التى عرف أن يسجلها .

ومن الجدير بالملاحظة محاولته فهم الماضى بأسره ، ولعل ذلك يرجع إلى أنه — وهو صقلى — كان الحياد الدولى أيسر عليه مما لو كان أثينيا أو إسكندريا أو رومانيًا. وكانت لغته اليونانية، وإن تعلم اللاتينية فى شبابه. وجدير بالذكر كذلك أن مواقف الماضى الحاسمة فى نظره كانت حرب طروادة وموت الإسكندر ، ولم يكن ذلك اختياراً سيئاً .

نيكولاوس الدمشقى :

نيكولاوس، (النصف الثانى من القرن الأول) : ابن انتيباتروس لا ينقلنا فقط من صقلية وإيطاليا إلى سوريا ، بل من العالم الوثنى إلى البلاط الرومانى اليهودى لهيرود العظيم (ملك يهوذا من ٤٠ إلى ٤ ق.م) . ولد نيكولاوس بدمشق

عام ٦٤ ، وكان أبوه من أغنياء قومه ، يقدر التعليم قدره ، فحرص على أن ينال ابنه منه أوفر نصيب . وأكبر الظن أنه أخذ العلم على أيدى معلمين يونانيين إلى أن تفوق وسمع الملك عن امتيازه . وقد تولى هيرود الملك سنة ٤٠ بفضل أنتونى ، فشجع تحويل دولة يهوذا إلى الثقافتين اليونانية والرومانية ، وأصبح فى حاجة إلى معاونين من اليونانيين فكان نيكولاوس أبرزهم ، أمضى حياته فى خدمة هيرود ، وصحبه مرتين إلى روما خلال السنوات العشر الأخيرات من حكمه (١٤ — ٤) .

كان نيكولاوس أمين سر الملك ، اختص بالأمور السياسية والدبلوماسية ، بل بالفلسفة والتاريخ والتعليم العام . وكانت مهمته أن يشرح سياسة هيرود المناهضة للعرب (أو المناهضة للنبط) لمجلس الشيوخ فى روما ، ولكنه كان يشرح التاريخ لهيرود نفسه . وبعد موت هيرود (سنة ٤ ق.م) حاول نيكولاوس التقاعد غير أنه اضطر إلى الاستمرار فى خدمة أرخلاوس ، ابن هيرود ، ورحل إلى روما للدفاع عنه ، ولكن أغسطس نفى أرخلاوس إلى فينا (على الرون) حيث مات هناك . ولسنا ندرى ماحدث لنيكولاوس نفسه ، وهل أمضى سنواته الأخيرات فى بيت المقدس أم فى روما .

وعمله الأدبى الأساسى هو كتابة تاريخ عام يشبه ديودور ولكنه على نطاق أوسع . وكان يبغى منه تسجيل تاريخ البشرية منذ بدايتها حتى موت هيرود ويقع فى ١٤٤ كتاباً . ولسنا ندرى بالضبط كيف قسم الكتاب . إذ من الطبيعى أن يصبح أدق وأكمل كلما اقترب من عصر المؤلف . ويحكى الكتاب ٩٦ قصة لحروب مثريداتيس الكبير وحليفه تجراتيس ملك أرمنيا ،[١٩] وهذا يدل على أن بضعة وخمسين كتاباً — أى نحو ثلث الكتاب — كانت تصور حوادث القرن الأول قبل الميلاد . وقد ظفرت سيرة هيرود وتاريخ اليهود بنصيب وافر ، واعتمد عليه مصدراً أساسيًّا المؤرخ يوسيفوس (النصف الثانى من القرن الأول) .

وكتب نيكولاوس كذلك سيرة أغسطس ، وسيرة ذاتية لحياته روى فيها نشأته وتعليمه ، وتصنيفاً عجيباً جمع فيه عادات وتقاليد بضع وخمسين أمة (ethòn

synagōgè وما يؤسف له أن كل مؤلفاته التاريخية ليست معروفة إلا فى هيئة شذرات . وربما كان تصنيفه « الاثنوجرافى » فى غاية الفائدة . وكان مشائيًا ، وكتب شروحاً على أرسطو لا يؤسف كثيراً على ضياعها . ورسالته فى النبات التى تعد جزءاً من المؤلفات الأرسطية وصفت بإيجاز فى الفصل الحادى والعشرين .

ΔΙΟΔΩΡΟΥ ΤΟΥ ΣΙΚΕΛΙΩ-
ΤΟΥ ΒΙΒΛΙΟΘΗΚΗΣ ΙΣΤΟΡΙΚΗΣ

DIODORI SICVLI
Bibliothecæ hiſtoricæ libri quindecim
de quadraginta.

Decem ex his quindecim nunquam prius fuerunt editi.

ANNO M. D. LIX
EXCVDEBAT HENRICVS STEPHANVS

شكل ٨٨ – ديودور الصقلى (النصف الثانى من القرن الأول) . الصفحة الأولى من أصل كتابه فى التاريخ نشره هنرى إتيين (طول الورقة ٣٥ سم ، عدد الصفحات ٨٤٨ ، جنوا ١٥٥٩) ، وأهداه إلى هلدرك فوجر . والنشرة لا تشمل إلا النص اليونانى . وهذا هو أصل الـ ١٥ كتاباً الباقية (من أربعين) . وقد نشر النص اليونانى للكتب ١٦ – ٢٠ فى بال ١٥٣٩ . ولا بد أن كتاب ديودور كله كان ضخماً .

ديونيسيوس الهاليكارناسى :

وفد ديونيسيوس على روما فى نهاية الحروب الأهلية ، وازدهر هناك من سنة ٣٠ تقريباً إلى ٨ ق.م . كان فى أول أمره مدرساً للغة اليونانية وناقداً

أدبيًّا . مهنته معلم فى مدرسة أو مدرس خاص، وهى مهنة طيبة فى ذلك الحين بروما ، لأن كثيراً من الشباب فى روما لم يكن فى استطاعهم الإقامة فى اليونان ، وكانوا إلى ذلك الحين متطلعين إلى معرفة اللغة اليونانية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . كانت معظم كتاباته تبحث فى موضوعات أدبية ونحوية ، ولكننا هنا نعرض لكتابه عن بداية التاريخ الرومانى (Rhòmaicè archaiologia) الذى أتمه سنة ٨ ق. م ولقد ألف جو روما تماماً ، وكان غرضه شرح أصول مصيرها وأسباب عظمتها وكتابه الذى كان على الأرجح خطابيًّا يسجل تاريخ روما منذ إنشائها حتى الحروب البونية الأولى (٢٦٤ — ٢٤١) ، ولكنه مفقود .

ΔΙΟΝΥΣΙΟΥ ΤΟΥ ΑΛΙΚΑΡΝΑΣΣΕΩΣ
ΡΩΜΑΙΚΗΣ ΑΡΧΑΙΟΛΟΓΙΑΣ
ΒΙΒΛΙΑ ΔΕΚΑ.

Dionysii Halicarnassei antiquitatum Romanarum Lib. X.

EX BIBLIOTHECA REGIA.

LVTETIAE.
Ex officina Rob. Stephani, Typographi Regii, typis Regiis.
M. D. XLVI.

Ex priuilegio Regis.

شكل ٨٩ — ديونيسيوس الهاليكارناسى (النصف الثانى من القرن الأول ق. م) . أصل كتاب « التاريخ الرومانى القديم » (باريس — روبرت إتيين ١٥٤٦ — ١٥٤٧) — الكتاب فى ورقات طولها ٣٥ سم ، وفى جزأين ضمن مجلد واحد غالباً — ٥٤٠ + ٥٠٠ صفحة .

سترابون الأماسى :

رابع أولئك المؤرخين السابقين على ميلاد المسيح هو سترابون (النصف الثانى من القرن الأول ق.م) الذى كان أعظم مؤرخ بعد پوليبيوس . ويعرف عادة بكتابه فى الجغرافيا الذى يعد من أهم التراث القديم . وتعوزنا الوسائل الكافية للحكم عليه كمؤرخ ؛ لأن دراساته التاريخية (Historica hypomnèmata) مفقودة، وقد كتبها فى بداية عصر أغسطس وكانت تشمل ٤٧ كتاباً . وبعد تمهيد يسجل التاريخ القديم (الأجزاء الأربعة الأولى) ، يتابع الكتاب تاريخ پوليبيوس[٢٠] ، أى إن معظم الكتاب (من الجزء الخامس إلى السابع والأربعين) يبحث فى فترة قصيرة نسبيًا ، من القضاء على قرطاجة سنة ١٤٦ إلى بدء عهد الإمارة سنة ٢٧ ق.م .

وضع كتاب «الجغرافيا» متأخراً وأشار فيه إلى كتابه فى التاريخ بهذه العبارات المتميزة : جملة القول أن كتابى هذا لا بد أن يكون مفيداً بوجه عام — مفيداً على السواء للحاكم والمحكومين من الجمهور الكبير — فائدة كتابى فى التاريخ . ففى هذا وذاك لا أعنى « بالسياسى » الرجل العديم التعليم تماماً ، بل ذلك الذى حصل على العلوم المعتاد تدريسها للأحرار أو طلبة الفلسفة . لأن الذى لا يفكر فى الفضيلة والحكمة العملية ، أو يفكر فيما كتب عنهما ، لن يكون قادراً على تكوين رأى سليم ذما أو مدحاً، بل لن يتمكن من الحكم على الوقائع التاريخية الجديرة بالتسجيل فى هذا الكتاب »[٢١] .

ومن الواضح أن الكتابين قصد بهما صاحبهما الجمهور نفسه ، نعنى المثقفين بوجه عام ، وبخاصة لأجل الحكام والقادة (tus en hyperochais)

وإذا كان لنا أن نحكم عليه من كتابه فى الجغرافيا ، فإن ضياع كتابه فى التاريخ خسارة عظيمة . ولم يكن سترابون خطيباً مثل ديودور وديونيسيوس ، ولا مستشاراً ملكيًا مثل نيكولاوس ، بل رجلا فى منزلة پوليبيوس وعبقريته ، مشغوفاً بالعلم ، مستقلا فى الرأى .

جوبا الثانى :

وربما كان من الخير أن نختم هذا القطاع اليونانى بإشارة موجزة إلى مؤرخ يونانى وفد من نوميديا، ولكنه تعلم فى روما . ولما هزم أبوه جوبا الأول ملك نوميديا على يد الرومان سنة ٤٦ ، كان الابن طفلا فى الرابعة من العمر وحمل إلى روما احتفالا بانتصار قيصر. وتلقى الصبى التعليم اليونانى الرومانى الذى يتلقاه أشراف روما، وأصبح مواطناً رومانيًّا ، وخدم فى جيش أوكتافيوس وسمح له بين حين وآخر بالعودة إلى نوميديا ، ولم ينصبه الرومان سنة ٢٥ ملكاً على نوميديا لوطنه الأصلى ، بل على موريتانيا الواقعة غرب نوميديا(٢٢) .

وكانت كل كتاباته باليونانية وقد فقدت كلها . وكان قد اقتنى مجموعة من الآثار الفنية ، وبخاصة التماثيل ، عثر على بقايا بعضها فى جوليا قيصرية (شيرشيل ، وهى ميناء فى غرب الجزائر) .

المؤرخون اللاتين :

لعلك لاحظت أن هذا القسم لا يحمل عنوان اسم المؤرخين الرومان والسبب فى ذلك أن كل الذين تكلمنا عنهم فى القسم الأول كانوا رومانيين كرجال هذا القسم ، وكان معظمهم دارسين للتاريخ الرومانى . إلا أن أولئك كتبوا باليونانية . على حين كتب هؤلاء باللاتينية . فكانوا حقًّا أول من كتب التاريخ اللاتينى . قد يولد المؤلفون اليونان فى أى مكان شرقاً أو غرباً ، ولو أن معظمهم عاش فى روما أو زار تلك المدينة العظيمة مرة أو مرات . وعلى العكس فإن المؤلفين اللاتين كانوا جميعاً من أبناء إيطاليا . وسنتحدث عن ستة منهم مقسمين إلى ثلاث طوائف ، الرواد : إنيوس وكاتو حاكم روما ، ثم قيصر وفارو ، وأخيراً سالوست ولينى .

إنيوس :

لقب إنيوس Ennius (النصف الأول من القرن الثانى ق.م) يلقب بأبى الشعر الرومانى . ويمكن أن يلقب كذلك بأبى التاريخ الرومانى . حقًّا كتب

مؤرخان آخران فابيوس بكتور وكنكيوس أليمانتوس حوليات عن روما قبل إنيوس ، ولكنهما كتبا باليونانية ، وكلاهما توقف عن السرد عند الحرب البونية الثانية (٢١٨ — ٢٠١) .

كان إينوس من أبناء كالا بريا حيث تلقى تعليماً يونانيًّا ، غير أنه تعلم اللاتينية فى الجيش الرومانى (إن لم يكن قبل ذلك) . وكان قائد الجيش الرومانى فى سردينيا سنة ٢٠٤ ، واستدعاه كاتو الرقيب من هناك إلى روما . وقد كتب حولياته (Annalium libri XVIII) شعراً باللاتينية .

بدأت القصيدة بأينياس* وامتدت إلى ما يقرب من سنة ١٨١ ق.م ، أى إنها امتدت اثنى عشر عاماً من وفاته . والقصيدة أدنى أن تكون ملحمة من أن تكون تاريخاً علميًّا . وأشعاره على العموم مهلهلة دارجة وإن تكن فخمة أحياناً . مارس الخدمة فى الحروب البونية الثانية تحت قيادة سيكيبو الإفريقى ، والأجزاء الخمسة عشر الأولى تنتهى بهذه الفترة . ولقيت حولياته من النجاح ما حفزه أن يضيف الأجزاء الثلاثة التالية فى هيئة ملاحق سنوية ، مما قضى على وحدة المصنف بأسره ، وإن أرضى نزعة القراء الوطنية واجتذب اهتمامهم .

لقد خلفت « حوليات » إينوس موضوعاً كبيراً وأعدت جمهوراً ذواقة لأنياد فرجيل .

كاتو الرقيب :

أول مؤرخ رومانى كتب بالنثر اللاتينى هو كاتو (النصف الأول من القرن الثانى ق.م) ويعرف مؤلفه الأساسى فى التاريخ (وهو مفقود بعنوان « الأصول ») (Origines) قسمه إلى ثلاثة كتب ؛ اختص الأول منها بأصول حرب طروادة وإينياس (Aeneas) وتأسيس روما (٧٥٣) وعصر الملوك (إلى ٥١٠) . أما الكتابان الثانى والثالث فقد عرضا لأصول الجماعات

* أسير طروادى اتخذه فرجيل بطلا للإنياد ، تزوج ابنة ملك إيطالى وعد أصلا طروادياً للرومان .

الإيطالية الأخرى وإنشاء المدن الإيطالية[٢٣] . ثم أضاف بعد ذلك أربعة كتب تمضى بالقصة حتى عام وفاته (١٤٩) ، أو ربما كانت هذه الكتب الأربعة التى كتبها فى شيخوخته قد أضيفت إلى « الأصول » فى طبعة متأخرة . ويقال بوجه عام إن كتاب « الأصول » مقسم إلى سبعة كتب ، ولكن العنوان لا يلائم تماماً الكتب من الرابع إلى السابع . وتشمل تلك الكتب المحتويات الآتية :

الرابع : الحرب البونية الأولى والحرب الثانية حتى ٢١٦[٢٤]

الخامس : الحروب المقدونية وشئون رودس . ذلك أن رودس وبرجامه استدرجا روما إلى الدخول فى السياسة الشرقية سنة ٢٠١ . وكانت رودس حليفة روما ثم انفصلت عنها فى الحرب المقدونية الثالثة (١٧١–١٦٧) ، مما أدى إلى أزمة عنيفة سنة ١٦٧ انتهت بسقوط رودس سياسيًّا .

السادس : الحرب ضد أنطيوكس الثالث العظيم ملك سوريا (٢٢٣–١٨٧)

السابع : الحروب الإسبانية مع تأكيد خاص على محاكمة سرفيكيوس سولبيكيوس جالبا ، حاكم هسبانيا العليا (١٥١ – ١٥٠) ، الذى اتهم بأنه تسبب فى إبادة اللوزيتانيين برغم طلبهم السلم . وقد أيد كاتو سنة ١٤٩ اتهامه ومحاكمته ، ولكنه برىء .

ومن الواضح أن الكتب من الرابع إلى السابع شديدة الاختلاف عن الكتب من الأول إلى الثالث . وقد بدأ كاتو كتابه وفى ذهنه تفسير الأصول التى اعتمدت عليها قوة روما وعظمتها ، وتصور أن يكون ذلك على هيئة ضرب من التمهيد لتاريخ عام . ولم تكن عنايته منصرفة إلى بلاد إيطاليا فقط ، بل إلى الليجوريين ،[٢٥] والكلت ، والإسبان ، ولم يعن بماضى روما وحاضرها فقط ، بل بمستقبلها كذلك الذى كان لا يزال فى ضمير الغيب . وبمقدار ما نستطيع أن نحكم فى ضوء الشذرات الباقية لم يكن كاتو مهتما بالحروب والسياسة فقط ، بل بالجغرافيا ، والطقس ، والزراعة ، والتعدين ، والشئون الاقتصادية وضروبها المختلفة .

كانت وجهة نظره الأساسية سياسية ، وهى تفسير قيام روما بواجباتها الإمبريالية ، وكيف لا تزال قائمة عليها . ولقد كان معدًّا أحسن الإعداد لهذا العمل بسبب طول خبرته كجندى وحاكم . فقد حارب وهو شاب فى الحرب البونية الثانية (٢١٨ — ٢٠١) ، وسعى جهده لإثارة الحرب الثالثة التى بدأت فى السنة التى توفى فيها . وكان صاحب الخراج فى صقلية سنة ٢٠٤ ، ثم عاد إلى الوطن عن طريق سردينيا مصطحباً معه إنيوس .[٢٦] وتولى الإشراف على أجران القمح لحساب الشعب سنة ١٩٩ ، وأصبح حاكم سردينيا ١٩٨ ، وقنصلا سنة ١٩٥ ، وعضواً بالشيوخ ، وهكذا ، ولم تنته خدماته العامة إلا بانتهاء حياته سنة ٨٥ ، فلا غرو أن يكون على معرفة شخصية بكل مظهر من مظاهر السياسة والإدارة فى روما . وكان إلى ذلك ديمقراطيًّا يزدرى ترف كبار الملاك وعبثهم ، مغرماً بامتداح الجمهور العادى ، والجند ، بل الفيل سوروس أكثر مما يمتدح القواد والحكام .

وفى الكتب من الخامس إلى السابع استفاد كاتو من تجاربه الشخصية فى وصف الحوادث ، وأضاف أحياناً خطبه التى ألقاها ، وهى خطب أصيلة ولكنها لا تمت إلى الموضوع بصلة . وكان كاتو متحيزاً ولكنه أمين ، ولم يكن أسلوبه خطابيًّا بل تقريريا . وكتابه فى التاريخ على الرغم من تحزبه إلى جانب واحد استقاه من مصادر جيدة ، وبعد ضياعه (فيما عدا بعض الشذرات) خسارة لا تعوض .

قيصر :

ظهر بعد قرن من وفاة كاتو مؤرخ آخر أعظم منه إلى حد بعيد ، فهو أعظم رجل ، وكاتب ، بل ومن كل وجه ، إنه أحد الأبطال البارزين فى سائر التاريخ القديم . كان قيصر (النصف الأول من القرن الأول ق.م) فى ابتداء أمره حاكماً وسياسيًّا ، ثم أصبح قائداً ، وبرزت عبقريته الحربية فى وقت متأخر نسبيًّا من حياته . فهو عندما بدأ معاركه فى بلاد الجال ، كان أكبر سنًّا من الإسكندر عند وفاته ، ويكاد يكون فى سن نابليون عند

هزيمته .[٢٧] وبوجه ما لم تبدأ حياته الأدبية إلا فى وقت متأخر عن ذلك رغماً عن أنه كان بالفطرة من رجال الأدب .

ولم يبق من كتاباته إلا « التعليقات »، وهى ذكريات عن معاركه الحربية ، وقد فتحت الباب لطراز أدبى جديد ، وستظل نماذج لهذا النوع .[٢٨] إن الرجال الذين تسنح لهم فرصة القيام بأعمال حربية عظيمة قليل ، وقليل من هذه القلة لهم القدرة الأدبية على تصويرها[٢٩] .

وتشتمل « التعليقات » على مصنفين منفصلين هما حرب الجال (De bello Gallico) ويقع فى سبعة كتب يؤرخ كل منها لحوادث سنة من سنوات ٥٨ ــ ٥٢ .[٣٠] ثم الحرب الأهلية (De bello civili) ٤٩ — ٤٥ ، فى ثلاثة كتب .

وتعد « التعليقات » مصدرنا الأساسى للحوادث المروية ، وهى تصفها وصفاً بارعاً ، لأن قيصر يشرح معاركه ببساطة ووضوح تامين. ولما كان قيصر كاتباً مطبوعاً ، كما كان قائداً مفطوراً ، فلا غرو أن تكون « التعليقات » احد روائع الأدب التاريخى .

ثارو :

قتل قيصر وهو فى سن ٥٦ ، أما ثارو (النصف الثانى من القرن الأول ق.م) فقد قدر له أن يعيش حتى بلغ ٨٩ عاماً ، وهكذا برغم أنه كان أكبر من قيصر بستة عشر عاماً فإنه عاش بعده سبعة عشر عاماً ، مما جعله يبدو وكأنه ينتمى لجيل متأخر . وبينما أصبح قيصر مؤلفاً بحكم الظروف (كان لا بد أن يبرر أعماله الهائلة) ، كان ثارو مصنف كتب بوحى من نفسه .

وكتبه كلها — فيما عدا الزراعية — قصد بها أن تكون تاريخية . فقد أراد أن يبين أصل المؤسسات ونموها ، وسيرة عظماء الرجال . وأكبر الظن أن مرتبته فى التاريخ كانت أقل من مرتبته كأديب مولع بالموضوعات التاريخية . ومن جهة أخرى كان قيصر أكثر من مؤرخ بالمعنى التقليدى . فهو الممثل

الرئيسي وأفضل شاهد للحوادث التي يصفها . وليست كتبه تاريخاً بمقدار ما هي وثائق من الدرجة الأولى يستخدمها المؤرخون ؛ أو كما يقول الفرنسيون « مذكرات تخدم التاريخ » (Mémoires pour servir à l'histoire) . وبعد فإن التباين بين الكتابين لا يمكن أن يكون أكبر مما نقول : كان قيصر على رأس سائر المؤرخين ، وتخلف ثارو عنهم بمسافة طويلة .

C. IVLII CAESARIS COMMEN
TARIORVM DE BELLO
GALLICO LIBER
PRIMVS.

GALLIA EST OMNIS DI
uisa in partes tres, quarū unam
incolunt Belgæ, aliam Aquitani,
tertiam q ipsorum lingua Celtæ,
nostra Galli appellantur. Hi o-
mnes lingua, institutis, legibus in-
ter se differunt. Gallos ab Aquitanis Garumna flu-
men, à Belgis Matrona, & Sequana dividit. Horum o-
mnium fortissimi sunt Belgæ, propterea quod à cultu,
atq humanitate prouinciæ longissime absunt, minimeq;
ad eos mercatores sæpe commeant, atq ea, quæ ad effe-
minandos animos pertinēt, important, proximiq; sunt
Germanis, qui trans Rhenum incolunt, quibus cum con-
tinenter bellum gerunt. Qua de causa Helvetij quoq;
reliquos Gallos virtute præcedunt, quod fere quotidia-
nis prælijs cum Germanis contendunt, cum aut suis fi-
nibus eos prohibent, aut ipsi in eorum finibus bellum
gerunt. Eorū una pars, quam Gallos obtinere dictum
est initium capit à flumine Rhodano, continetur q Ga
rumna flumine, Oceano, finibus Belgarum, attingit
etiam à Sequanis, & Helvetijs flumen Rhenum, vergit
ad septentriones. Belgæ ab extremis Galliæ finibus
oriuntur, pertinent ad inferiorem partē fluminis Rhe-
ni, spectant in septentrionem, et orientem solem. Aquita
nia à Garumna flumine ad Pyrenæos montes, & eā

شكل ٩١ – قيصر . نشرة عجيبة جداً لكتاب «التعليقات» قام بها فرا جيوكوندو Fra Giocondo (16 cm. Aldus : Venice, 1513) وفيها حفر على الخشب . وهذه صورة الصفحة الأولى من «حرب الجال» De bello gallico وفي مكان آخر (شكل ٧٣) جزء من القنطرة التي بناها قيصر على الراين .

شكل ٩٠ – قيصر (النصف الأول من القرن الأول ق . م) أصل كتاب « التعليقات » أعدها جيوفاني أندريا البوسي ، أسقف الريا (في كورسيكا) وكان ناشراً نشيطاً جداً للنصوص اللاتينية القديمة Rome : Sweynheym and Pannartz, 12 . May 1469)

وأعلى كتبه التاريخية شأنا رسالته عن الآثار القديمة الدنيوية والمقدسة فى ٤١ كتاباً Antiquitatum rerum humanarum et divinarum libri XLI كتبه سنة ٤٧ . وكثير من الشذرات الباقية تيسر لنا إعادة ترتيبه ، ذلك الترتيب الذى كان فى غاية الأصالة والتماثل . قسم الكتاب إلى جزأين رئيسيين : الآثار الدنيوية (٢٥ كتاباً) والآثار المقدسة (١٦ كتاباً) . وقسم الأول إلى أقسام فرعية هى (٦ + ٤) × ١ ، والثانى إلى (٣ × ٥) + ١ . ولنشرع فى فحص هذه الكتب فحصاً أقرب .

ينقسم كلامه عن الآثار الدنيوية إلى أربعة قطاعات يمكن تسميتها : الناس ، الأماكن ، الأزمنة ، الأشياء (وهى جواب عن الأسئلة : من ؟ أين ؟

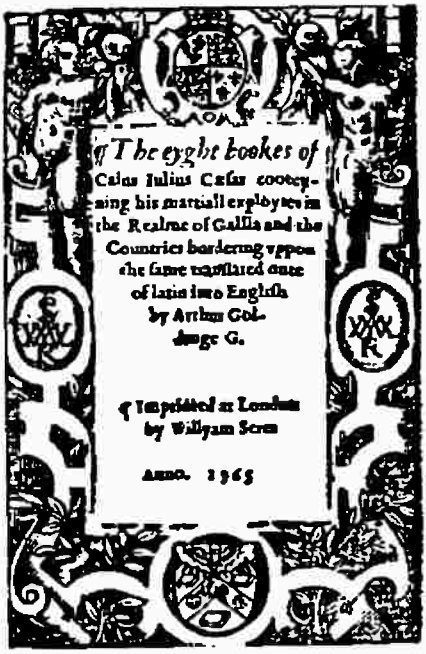

THE FIRST BOOKE of Caius Iulius Cæsars Commentaries of the warres in Gallia.

ALL GALLIA IS The subiects countrey of Fraunce deuided into thre partes: Of the whiche, one is inhabited by the Belgies. An other by the Aquitanes, and the. iii. by them who in their toung are called Celtes, and in our Gallies. All theis vtter eache from other in Language, Customes, and Lawes. The ryuer of Garonne deuideth the Celtes from the Aquitanes: and the riuers of Marne and Sayne do deuide them from the Belgies. Of all theis, the Belgies be most puissante, as they whiche are furthest distant from the delycatenes and ciuilitie of the Prouince, and vnto whom is lytle; no resort of marchantes, to bringe in thynges that might effeminate their myndes. Besides that, they bo̲rder vpon the Ger-

A manes

شكل ٩٢ – الطبعة الإنجليزية الأولى لقيصر ، ترجمة آرثر جولدنج (مجلد صغير سميك ، طول الورقة ١٢٫٥ سم ، لندن ، وليم سيريس ، ١٥٦٥) . والنشرة مهداة إلى سير وليم سيسيل السكرتير الأول للملكة اليزابيث . وهذه صورة صفحة العنوان ، والصفحة الأولى من الكتاب الأول لحرب الحال (النص اللاتينى فى شكل ٩١) .

متى ؟ ما ؟) وكل قطاع ينقسم قسمة فرعية إلى ستة كتب . والكتاب الأول مقدمة عامة للمصنف كله . والكتب من الثانى إلى السابع تبحث فى الرجال من أينياس ومن جاء بعده ، وهم الذين لعبا أدواراً فى التاريخ الرومانى . والكتب من الثامن إلى الثالث عشر تبحث فى الأماكن . وهو عبارة عن نوع من الجغرافيا التاريخية لإيطاليا . والكتب من الرابع عشر إلى التاسع عشر تبحث فى التاريخ الرومانى . والكتب من العشرين إلى السادس والعشرين فى الأشياء والمؤسسات (توجد شذرات قليلة جدا من هذا القطاع الأخير) .

الجزء الثانى وهو الآثار المقدسة متماثل كذلك ولو أن النموذج مختلف : الكتاب الأول مقدمة يتبعه أربعة قطاعات تبحث فى الرجال والأماكن والأزمنة والأشياء (المقدسة) . فالكتب من الثانى إلى الرابع تتحدث عن ثلاثة أصناف من البشر المقدسين ، وهم : الكهنة ، والعرافون . والرجال الخمسة عشر (quindecimviri)[٣١] وتعالج الكتب من الخامس إلى السابع ثلاثة أصناف من الأماكن المقدسة هى المذابح الخاصة ، والمعابد ، والهياكل الأخرى . وتعالج الكتب من الثامن إلى العاشر ثلاثة أنواع من الأوقات المقدسة هى الأعياد ، وأيام السبرك ، وأيام التمثيل . والكتب من الحادى عشر إلى الثالث عشر تبحث فى أنواع ثلاثة من الأشياء المقدسة وهى : التقديس ، والقرابين الخاصة والعامة . واختص قطاع خامس (الكتب من الرابع عشر إلى السادس عشر) ببحث ثلاثة أصناف من الآلهة ، وهى الآلهة اليقينية ، والآلهة غير اليقينية (الأجنبية) والآلهة الرئيسية أو المختارة .

وقد تكشف غرام ڤارو بالتصنيف أو التجميع المتماثل فى كتب أخرى . أهمها : كتاب « السبعيات (Hebdomades) ، ويمكن أن يتتبع هذا الغرام ليرد إلى أصول فيثاغورية وما وراءها من أصول شرقية ،[٣٢] وكتابه « الآثار » يكاد يكون قد بنى على نظام شبيه بمعبد يونانى . ولكنى أعتقد أن هذا البناء الأدبى إنما كان من ابتكاره هو . ومهما يكن فلست أعرف أى كتاب يونانى صنف بهذه الطريقة .

ومن الواضح كذلك أن مؤلف ڤارو « الآثار » كان زاخراً بالمعطيات التاريخية ، ومع ذلك كان بعيداً جداً من أن يكون كتاباً فى التاريخ على الطريقة التقليدية .

وله كتابان تاريخيان آخران أحدهما بعنوان De gente populi Romani أى « تاريخ الأسرة الرومانية » ، أو الجنس السيد ، والآخر De vita populi Romani أى تاريخ الشعب الرومانى ، والمفروض أنه يبحث فى التاريخ الاجتماعى للشعب الرومانى ويتضمن نوعاً من فلسفة التاريخ . وعندما كتب هذا الكتاب قبل تولية أغسطس أول إمبراطور ، تبين ڤارو أن تطور الشعب الرومانى كان أشبه بكائن حى ينتقل من الطفولة إلى الشباب ، ومن النضج إلى الشيخوخة . وهذا ضرب من التصور الدورى شبيه ، بطريقة متواضعة ، بالدورات التاريخية الأكثر تعقيداً عند أزوالد شبنجلر (١٨٨٠ — ١٩٣٦) وأرنولد توينبى (١٨٨٩ —)

ولعل من الأوفق أن نعد ڤارو رجلا مثقفاً ، بدلا من أن نسميه مؤرخاً والحق أنه كان أعظم باحث فى أمته . وكانت كتبه تستخدم طوال عهد الإمبراطورية الرومانية بما فى ذلك عصر تدهورها ، كما تستخدم اليوم القواميس أو دوائر المعارف . نعم إن وسائلنا أفضل بدرجة لا حد لها ، ولكن علينا أن نتذكر أن وسائل ڤارو ، وإن تكن بدائية وناقصة ، تعد الأولى من نوعها وكلما رجعت إلى دائرة معارف مثل "PW" ، أشكر مؤلفيها شكراً جزيلا دون أن أنسى من سبقوهم حتى زمن ڤارو ومن قبله من اليونان والرومان . إن شكرى يشملهم جميعاً . والفضل للمتقدم .

يقيت كمة أخرى فى مدح ڤارو ، إذ من الغبن الشديد أن نعتبره مجرد جماع لما كتبه المتقدمون . فقد كان إلى حد ما فيلسوفاً أو على الأقل مفكراً حاول أن يفهم ويفسر أصل الظواهر الاجتماعية وتطورها . مثال ذلك محاولته تبرير شعائر الديانة الرومانية بصرف النظر عما فيها من ميثولوجيا أصبحت مما يصعب اعتقاده . وقد ميز ثلاثة أنواع من الدين . ديانة الشعراء ، وديانة الدولة

وديانة الفلاسفة ، وكان هو نفسه يؤثر النوع الأخير . وعلى الرغم من أن جوهر معلوماته كان بالضرورة من أصل يونانى ، إلا أنه حاول أن يضيف إليها من المعلومات الرومانية بمقدار ما يستطيع ، وأن يفسر الأمور اليونانية بلغة رومانية وبالعكس . كان هدفه الأساسى النهوض بالمؤسسات الرومانية أو تسويغها ، وكان مقتنعاً أن الدين هو السبب الرئيسى فى الطهر والقوة والوحدة . ومن أجل ذلك كتب « الآثار » ، وقد اعترف شيشرون بقيمته ، وصور ذلك فى عبارة سامية فقال :

« كنا هائمين على وجوهنا كأغراب يزورون مدينتنا ذاتها ، حتى قادتنا كتبك — إن صح هذا القول — إلى قلب الوطن ، ويسرت لنا أخيراً أن نتبين من نكون وأين نوجد . فقد كشفت لنا عن عمر مدينتنا ، وأحداث تاريخها وقوانين دياناتها وهيئة كهنتها ، ومؤسساتها المدنية والحربية ، ومواضع أحيائها وأسوارها . وكشفت لنا عن مصطلحات المؤسسات الدينية والمدنية ، وأصنافها ، وأساسها الأخلاقى والعقلى . وألقيت أضواء ساطعة على شعرائنا ، وبوجه عام على الأدب اللاتينى واللغة اللاتينية . وألفت شعراً بديعاً بأساليب متعددة وفى جميع البحور ، ولخصت من الفلسفة فى فروعها المتعددة ما يكفى أن يحرك همة طالب البحث ، وإن لم يكف لاستكمال تعليمه[٣٣] » .

سالوست :

أصغر مؤرخى الجمهورية وهو جايوس ساللوستيوس كريسپوس (النصف الثانى من القرن الأول ق .م). ولد بعد ڤاروبثلاثين عاماً ، سنة ٨٦ ، بأميترنوم[٣٤] (Amiternum) وهو من أصل شعبى ، وأصبح عضواً بالشيوخ ، ولكنه طرد من المجلس سنة ٥٠ بسبب الخلود (؟) . عينه فيصر سنة ٤٩ وزيراً للمالية ، وحصل على ثروة كافية يسرت له شراء ضيعة لطيفة وتنظيم بساتين جميلة . كتب مؤلفاته الأساسية حول سنة ٤٣ — ٣٩ ، وتوفى سنة ٣٤ ق . م .

ويشوب حياته كثير من الغموض ، فهو سياسى ، ومدافع عن حزب

الشعب . وكان عرضة لاتهامات مرجعها وشايات فى الغالب . لم يجر مع الأوهام ، وكان أقرب إلى التشاؤم ، واتخذ من ثوكيديديس وكاتو نماذج له .

لم يحاول كما فعل كاتو وفارو أن يؤرخ لميدان واسع ، بل على العكس آثر مايمكن أن يسمى دراسات مفصلة لفترة محدودة . وأكبر كتبه ، فى التاريخ (Historiae) ؛ ويقع فى خمسة كتب ، ويشمل فترة تبلغ اثنى عشر عاماً (٧٨ — ٦٦) . وكتاباه الآخران أكثر تحديداً . فكتاب الحرب الكاتيلينية (De bello Catilinae) يصف مؤامرة كاتيلينا أثناء قنصلية شيشرون سنة ٦٣ ، ويمكن تسميته « نشرة سياسية » . وكتاب الحرب اليوجورتية (De bello Jugurthino) يصف فيه حروب روما (١١٢—١٠٥) ضد يوجورتا ملك نوميديا .

وقد حاول محاكاة ثوكيديديس فى حياده ، ولكنه كان شديد الانغماس فى السياسة فلم يسلم من التحيز . وكان أكثر نجاحاً فى محاكاة أسلوب ثوكيديديس. إن كتاباته تحليل مشرق للحوادث السياسية . وهى أول النماذج من هذا القبيل فى عالم الأدب .

ليڤى :

ليس ثمة إلا مؤرخ واحد أثناء العصر الأغسطى ، غير أنه كان أشهر كل المؤرخين اللاتين ، ذلك هو تيتوس ليفيوس[٣٥] (النصف الثانى من القرن الأول ق.م) الذى ولد سنة ٥٩ فى باتفيوم (بادوا) أهم مدن شمال إيطاليا فى ذلك الحين[٣٦] كان ينتمى إلى أسرة شريفة ، واشتهر لامتيازه فى الخطابة وتأليف محاورات فلسفية . مما هيأ له مكاناً فى بلاط أغسطس الذى كان فى حاجة إلى مؤرخ ، وسرعان ما قدرت مواهبه . والأرجح أنه رحل إلى بلاد أخرى ، وإن كنا لا ندرى أين ولا متى . أنفق معظم حياته فى روما وفى مدينته التى نشأ فيها حيث توفى سنة ١٧ ب.م[٣٧].

لم يؤلف إلا كتاباً واحداً ، ولكنه كتاب ضخم انقطع لتأليفه طوال حياته الناضجة . وهو عبارة عن تاريخ كامل لروما منذ البداية ab urbe codita

libri (أى منذ تأسيسها) حتى زمانه . أتم الجزء الأول سنة ٢٨ حين كان فى الواحدة والثلاثين ، وظل يتابع تأليفه حتى آخر حياته التى امتدت إلى الخامسة والسبعين .

لا يقل ما اشتمل عليه الكتاب كله عن ١٤٢ جزءاً .(٣٨) ويظهر أنه استمر باقيا كامل الأجزاء حتى آخر القرن الرابع الميلادى . وفقد معظمه أثناء العصور المظلمة السابقة على مولد العصر الوسيط ، ولم يصلنا إلا ٣٥ جزءاً من الأول إلى العاشر (من اينياس حتى سنة ٢٣١) ، ومن ٢١ إلى ٣٠ (الحرب البونية الثانية ٢١٨ — ٢٠١) ومن ٣١ إلى ٣٥ (فتوحات روما الأخرى حتى ١٦٧) يضاف إلى ذلك عدد من الشذرات أو الملخصات القديمة .

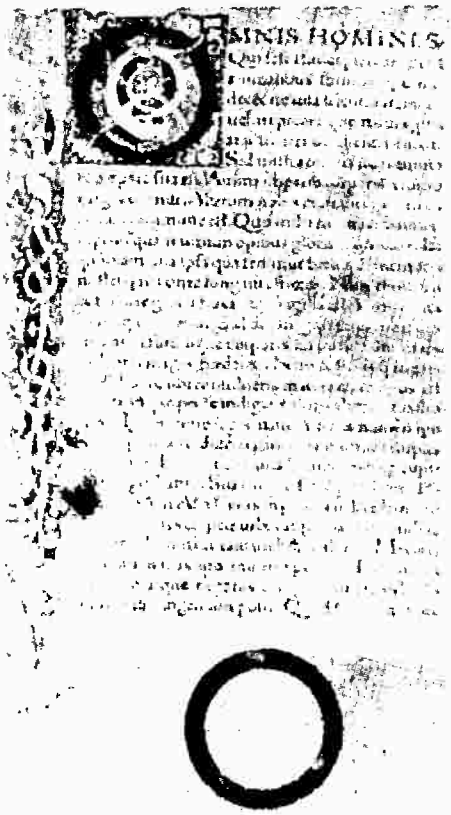

شكل ٩٣ — سالوستيوس (نصف الثانى من القرن الأول ق. م) . أصل كتاب حرب كاتيلينا وحرب يوجورتا فنسيا : فنديوس دى سبيرا ١٤٧٠ .

استهدف ليڤى من عمله البناء وخدمة الأمة والدفاع عن الوطن . ولما كان تحت رعاية أغسطس ، فقد كان المؤرخ الرسمى للإمبراطورية . حقاً لم يحمل مثل هذا اللقب . ولكن مركزه كان شبيهاً بمركز كتاب التاريخ الذين ألحقوا بين حين وآخر ببلاط الملوك فى أوربا . وكانت الأوراق الرسمية فى متناول يده بما فيها مذكرات أغسطس مما جعله على علم ما أمكن بوجهة نظر الحكومة . كان فى استطاعته أن يستخدم ، بل لقد استخدم بالفعل الكتب التى صدرت من قبل لا فى اللاتينية[٤٠] فقط ، بل فى اليونانية (وبوجه خاص پوليبيوس و پوسيدونيوس) . ونحن نعرف ذلك من الموازنة بين النصوص ، لأنه لم يكن يذكر عادة مصادره . ولم يتول أى منصب ، ولم تكن له معرفة فنية بالإدارة ، أو فن الحرب ، أو حتى كتابة التاريخ . ولم يكن يهتم كثيراً بالوثائق والنقوش . كان رجلا حسن الطوية أميناً ، وكانت نظرته هى النظرة التقليدية لطبقته وبيئته .

ومما يجدر ذكره أنه على الرغم من تحيزه لأغسطس ، فإن عصر روما الذهبى فى نظره هو عصر كاتو أو الحلقة السبيونية ، لا عصره هو ؛ وفى ذلك يتفق مع فارو . فقد بلغت مساوئ الحرب الوطنية وما ترتب عليها من كوارث من الخطر ما جعل ليڤى يولى ظهره لها ويلتمس الراحة فى رؤية أوقات الشجاعة فى الزمن القديم (هكذا يحدثنا فى مقدمته) .

كانت مهمته شبيهة بمهمة ڤرجيل[٤١] ، ولكن بطريقة مختلفة — الدفاع عن شرف روما وعظمتها . وهى مهمة إلى حد كبير أدبية ، فلم يكن واجبه أن يحكى الرواية الرسمية للحوادث فقط ، بل أن يرويها بأفصح لسان ، الطقوس والخطابة الذى يستخدمه أفضل القوم .

هذا التصور للتاريخ كان بعيداً عن ذهن هيرودوت أو ثوكيديديس ، أو حتى پوليبيوس ، ومع ذلك فقد اعتبر تاريخ ليڤى أبرز عمل من نوعه مادامت الصدارة الرومانية باقية ، والمثل الأعلى للنزعة الإنسانية فى عصر النهضة قائماً . ظل التراث الليڤى مستمراً كالتراث القرجيلى . لأن كلا المؤلفين سارا معاً

فى الطريق إلى الخلود، ولكن كتاب ليڤى كان أكثر تعرضاً للضياع بسبب ضخامة حجمه . وكان من الممكن الحصول على نسخة خطية كاملة فى القرن الرابع . وصفحات مخطوطة ڤيرونا من الجزئين الثالث والرابع ترجع إلى ذلك التاريخ. وقد اكتشفت بردية من القرن الثالث فى أوكسرنخس سنة ١٩٠٣ ، وتحتوى على اقتباسات من الأجزاء ٤٨ — ٥٥ . لقد فقد جزء كبير من النص فى أثناء فترة الاضطراب الواقعة بين التاريخ القديم والوسيط .

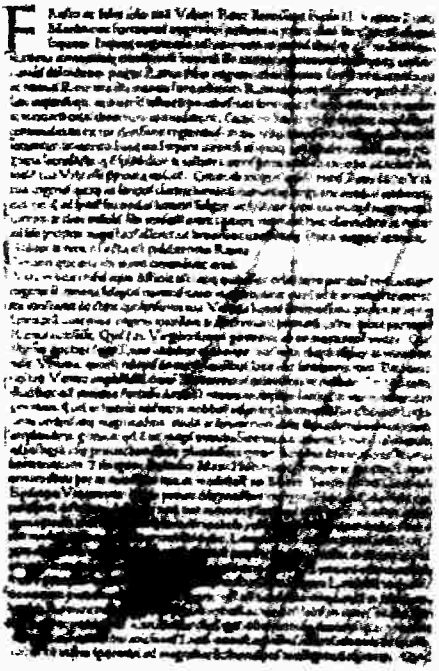

شكل ٩٤ — تيتوس ليفيوس (النصف الثانى من القرن الأول ق . م) أصل كتاب « تاريخ العقود الرومانية » Historiae Romanae derades (Rome : Sweynheym and Pannartz, 1469). نشر النص جيوڤانى أندريا دى بوسى أسقف ألريا (فى كورسيكا) الإهداء إلى البابا بولس الثانى (١٤٦٤ — ١٤٧١) . وكان هذا البابا واعياً للباحثين ومن المرجح أنه كان المسئول عن إدخال الطباعة فى روما .

بلغ الكتاب من الضخامة أنه قسم أولا إلى عقود ، وكل عقد إلى « تقاليد » وهذا يجعل دراسة المخطوط أعقد . وإلى جانب مخطوط ڤيرونا الذى يرجع إلى القرن الرابع يوجد عدد من المخطوطات من القرن التاسع إلى الثالث عشر .

نشر الأصل جيوڤانى أندريا أسقف ألريا Aleria[٤٢] ، وقام بطبعه سوينهايم وبنارتز (روما ١٤٦٩) (انظر شكل ٩٤) . وتوجد على الأقل عشر طبعات قبل سنة ١٥٠١. ومن الطبعات المتأخرة تلك التى قام بها أسولانوس

(٥ مجلدات . فنسيا . ألدوس ، ١٥١٨ – ١٥٣٣) . وأول طبعة « حديثة » هى طبعة فردريش جرونوفيوس (٣ مجلدات ، ليدن ، الزفير ١٦٧٨ – أمستردام الزفير ١٦٧٨) . ثم الطبعات النقدية ليوحنا نقولاى مادفج ويوحنا لويس أوسنج (كوبنهاجن ١٨٦٥) ووليم فيسنبورن (٩ مجلدات . برلين ، ١٨٦٧ – ١٨٧٩) وراجعها مورينيوس موللر (٦ مجلدات ليبزج ، تيبنر ١٩١٠–١٩١١) . وقد أعيد نشر هذه الطبعات النقدية أكثر من مرة . وهناك طبعات أخرى كثيرة لكل المؤلفات الباقية ، وطبعات متعددة لعقود أوكتب أو مختارات على حدتها . وأقدم ترجمة إنجليزية هى تلك التى قام بها فيلمون هولاند (لندن ١٦٠٠) انظر شكل ٩٥ .

والطبعة اللاتينية مع الترجمة الإنجليزية ميسرة جداً ، أعدها بنيامين أوليفر فوستر (١٣ مجلداً ، مكتبة لوب الكلاسيكية ، ١٩١٩ – ١٩٥١) .

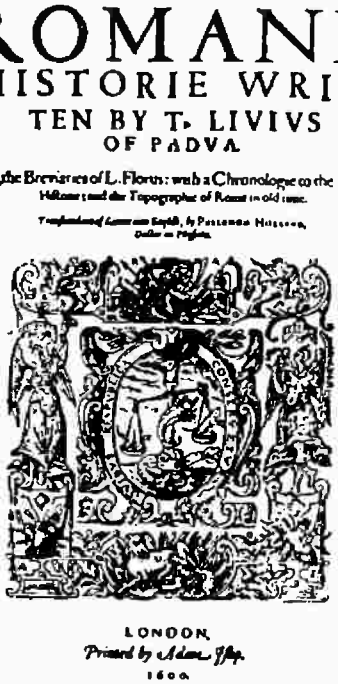
THE
ROMANE
HISTORIE WRIT-
TEN BY T. LIVIVS
OF PADVA

Also, the Breviaries of L. Florus: with a Chronologie to the whole History: and the Topographie of Rome in old time.

Translated out of Latine into English, by Philemon Holland, Doctor in Physicke.

LONDON
Printed by Adam Islip.
1600

شكل ٩٥ – أول ترجمة إنجليزية لكتاب ليڤى قام بها فيلمون هولاند (لندن، طبع آدم اسيلب ، ١٦٠٠) . وتشمل هذه الطبعة ترجمة تلخيص عن ليڤى ومؤرخين رومانيين آخرين . قام به ل . فلورس فى النصف الأول من القرن الثانى . وكان ذلك التلخيص كتاباً مدرسياً شائعاً فى القرن السابع عشر . والكتاب المطبوع ضخم ذو أوراق سميكة (٣٣ سم ، ١٤٠٣ صفحة+ فهرست) الإهداء إلى «أرفع وأقوى ملكة . إليزابيث...» ويشغل نص ليڤى ١٢٣٣ صفحة مطبوعة ، يليها ترجمة فلورس (من صفحة ١٢٣٤ إلى ١٢٦٤) ، ثم تاريخ متقن من زمن رومولوس إلى سنة ٩ ق . م (من صفحة ١٢٦٥ إلى ١٣٤٥) ، ثم رسم روما القديمة (من صفحة ١٣٤٦ إلى ١٤٠٣) ثم فهرست متقن، ومعجم . وكان الهدف من الكتاب أن يكون نوعاً من دائرة المعارف لتاريخ روما قبل المسيحية .

تعليقات

(١) هذا الفصل تكملة للقصة التى رويت فى الفصل الثانى عشر ، عن معرفة الماضى فى القرن الثالث ق . م .

(٢) اعتبر الأركاديون على مر الزمن أحسن من يمثل فضائل الرعاة . وقد سجل ڤرجيل هذه الشهرة .
انظر Arcades Amabo أى كلاهما أركاديان . وكلاهما ماهر فى موسيقى الرعاة) وذلك فى Eclogae, VII, 4 لڤرجيل .

(٣) فيلوبويمين (٢٥٣ — ١٨٣) أدرك الحاجة إلى القوة للدفاع عن استقلال أركاديا ، وابتدع وسائل الدفاع عنها ، وكان قائداً ممتازاً ، وأصبح سنة ٢٠٨ رئيس الحلف الآخى . سجنه الميسينيون سنة ١٨٣ ، وأعدموه .

(٤) وقعت منها أربع حروب : ٢١٥ — ٢٠٥ ، ٢٠٠ — ١٩٦ ، ١٧١ — ١٦٨ ، ١٤٩ — ١٤٨ . وفى سنة ١٤٨ أصبحت مقدونيا إقليماً رومانياً . وفى سنة ١٤٦ مزق القنصل لوسيوس موميوس أوصال الحلف الآخى ، ودمر كورنثة تماماً ونقل ثروتها إلى روما .

(٥) پندا Pynda ملاصقة جداً للشاطئ الشمالى لخليج ثرما (بين مقدونيا وشبه جزيرة خلقيديفية) .

(٦) هذا هو أفريكانوس الثانى من أسرة سيكيپيو العظيمة . أما الأول ، سكيپيو أفريكانوس الكبير (٢٣٦ — ١٨٤) فهو الذى هزم هانيبال فى موقعة زاما سنة ٢٠٢ . وكانت الألقاب من مثل أفريكانوس أسباتيكوس ، أخايكوس ، مكدونيكوس . تمنح لقادة روما تمجيداً لانتصاراتهم . قارن ذلك بالألقاب التى منحها نابليون ، مثل دوق أوسترلتز أو أكول ، وقارنه أيضاً بالألقاب الإنجليزية ، مثل « نيلسون النيل » . « وألنبى ميجدو » و « منتجمرى العلمين » .

(٧) كان للجماعة زعيمان : سكيپيو أيمليانوس وجايوس لوكسيليوس ، وقد مجد شيشرون صداقتهما فى كتابه عن « الصداقة » . وعلى الرغم من أن صنعتهما كانت الحرب فقد انفردا بثقافة عالية وسعة علم .

(٨) هل يعنى ذلك ميجالوبوليس ، أو أركاديا ، أو اليونان .

(٩) Polybios, *Historiei*, trans. Evelyn S. Shuckburgh (2 Vols., London, 1889). vol. 2, p. 540.

(١٠) ٢٦٤ ق . م= أولمبياد ١,١٢٩ ، ١٦٨ ق . م= أولمبياد ١,١٥٣ ، ١٤٦ ق . م = أولمبياد ٣,١٥٨ . وقد استخدم پوليبيوس الأوليباديات لأنها كانت أفضل طريقة للتأريخ فى زمانه . ولم يكن من الميسور استخدام التاريخ من إنشاء روما . وكان فارو (النصف الثانى من القرن الأول ق . م) أول من أرخ بإنشاء روما سنة ٧٥٣ ق . م . وطريقة الرومان فى إعطاء كل سنة اسم القنصلين الموجودين فى الحكم فى غاية الثقل ، وغير علمية ، لأنه من المستحيل تقدير الفترات على نحو ما هو معروف بين سنتى ٢٦٤ ، ١٦٨ ، وهو بأسلوب پوليبيوس بين الأوليباد ١,١٢٩ ، الأوليباد ١,١٥٣ .

(١١) لفظة eimarmenè أو peprômenè تدل على الشىء المقسوم بالقدر ، من حيث إن القدر تمثله الإلهة موبرا ، أو الإلهة الحظ Tychè (Fortuna)

(١٢) إن المفاهيم الخاصة بالطبيعة الدورية للتاريخ ، والرجعة الأزلية ، وإعادة الخلق لم تكن فى أصلها رواقية ، بل مفاهيم شرقية اصطنعها بصورة أو بأخرى الفيثاغوريون ، وثوكيديدس ، وأفلاطون ، وأرسطو ، وأخيراً الرواقيون .

(١٣) بمقدار ما يخص الرومان فلم تكن طروادة تجذب اهتمامهم إلا بعد أن نشر ڤرجيل الإنياد .

(١٤) لابد أن اسم أپوللودورس كان شائعاً إلى حد كبير فى أثينا .

(١٥) نشرة السير چيمس أداة طيبة لطلاب الميثولوجيا القديمة ، حيث أضاف مقارنات اتنوجرافية استقاها من مصادر شتى (عن أصل النار ، تجديد الشباب ، عربة الشمس ، وغير ذلك) ووضعها فى ملحق خاص فى المجلد الثانى من ص ٣٠٩ إلى ٤٥٥ .

(١٦) يذكرنا هذا باللقب العربى « أرسطو الزمان » الذى يمنح لأفراد لا يستحقونه ، ومثل « مديرو الجامعات » .

(١٧) أجريون (وتسمى حالياً أجيرا Agira) من أقدم المستعمرات اليونانية فى وسط صقلية .

(١٨) هذا أقدم استعمال (أو من أقدم الاستعمالات) للفظة «مكتبة» (bibliotècè)

لا تدل على صندوق أو دار للكتب ، بل على مجرد مجموعة من الكتابات تنشر معاً فى سلسلة واحدة . وقد تعرضت لفظة Library لنفس التطور الاشتقاقى . قارن مثلا بين "Harvard College Library" وبين Loeb Classical Library

(١٩) نعيد ما سبق ذكره من أن حروب مثريداتيس مع روما وقعت فى ٨٨ — ٨٤ ، ٨٣ — ٨١ ، ٧٤ — ٦٤ ، عندما هزم مثريداتيس نهائيًا على يد پومبى وهرب إلى القرم ، حيث انتحر سنة ٦٣ . وحكم تجرانيس أرمينا من ٩٦ إلى ٥٦ ، وتزوج كليوپاترة ابنة مثريدانيس . ومنذ سنة ٨٣ لم يصبح سيد أرمينا فقط بل مملكة السلوكيين من الفرات إلى البحر .

(٢٠) سماه « ملحق پوليبيون » Ta meta Polybion (أى ما بعد پوليبيوس) .

(٢١) الجغرافيا ١ ، ١ ، ٢٢ ترجمة هوراس ليونارد جونس (نشرة لوب) المجلد الأول ص ٤٧ .

(٢٢) تقابل نوميديا إلى حد ما غرب تونس وشرق الجزائر ، وموريتانيا غرب الجزائر وماراكش .

(٢٣) الإلحاح على « الأصول » من سمات الهلنستية . وكان المؤرخون الهلنستيون يحبون الحديث عن تأسيس (ctiseis) المدن .

(٢٤) أى إلى موقعة كاناى (فى أپوليا جنوب شرقى إيطاليا) حيث هزم الرومان تماماً على يد هانيبال سنة ٢١٦ . الحق لم يشهد الرومان أسوأ من هذه الهزيمة العسكرية .

(٢٥) استقر الليجوريون حول خليج چنوا إلى حدود الألب البحرية فى الغرب وكسبدان غال (ألمالياً) فى الشرق . وكانت ليجوريا وكسبدان غال جنوب نهر البو ، الولاية الأولى تحت البو الأعلى غرباً ، والولاية الثانية تحت البو الأوسط والأدنى شرقاً .

(٢٦) ولد انيوس ٢٣٩ فلم يكن أكبر من كاتو الذى ولد ٢٣٤ إلا بسنوات قليلة . وكاتو هو الذى ذهب به إلى روما من سردينيا سنة ٢٠٤ . وتوفى انيوس سنة ١٦٩ أى قبل كاتو بعشرين عاماً (١٤٩) . وسبقه كمؤرخ . ولقد انتهت حوليات انيوس سنة ١٨١ ، وبدأ كاتو « الأصول » عند وفاة أنيوس تقريباً ، وأتم كتاب الأصول فى السنة التى توفى فيها أى ١٤٩ .

(٢٧) كانت سنه ٤٣ سنة ، والإسكندر ٣٣ عند وفاته ، ونابليون ٤٤ فى موقعة ليبزج و ٤٦ عندما وصل جزيرة القديسة هيلانة . أما قيصر فقد بدأ أعماله الحربية فى سن كان الإسكندر ونابليون قد فارقا الدنيا .

(٢٨) لم يكن قيصر أول قائد يدون مذكراته الحربية ، إذ سبقه إلى ذلك بطلميوس سوتر (توفى ٢٨٣) الذى كتب باليونانية ، وكتابه مفقود .

(٢٩) لخص بلوتارك أعمال قيصر الحربية فى جملة واحدة حيث قال Caesar, XV : مع أن قيصر لم يتم فى حروبه عشر سنوات كاملة إلا أنه فتح أكثر من ٨٠٠ مدينة ، وأخضع ٣٠٠ أمة ، وحارب معارك منظمة فى أوقات مختلفة مع ثلاثة ملايين من الرجال ، ذبح منهم مليوناً فى حرب بالسلاح الأبيض وأسر مليوناً آخرين . ولم أحاول التحقق من صحة إحصاءات بلوتارك .

(٣٠) أضيف إليها كتاب ثامن يمضى بالرواية حتى سنة ٥٠ ق . م . ، كتبه أوليوس هرتيوس أحد ضباط قيصر . وربما كان هرتيوس هو نفسه مؤلف «حرب الإسكندرية» (Bellum Alexandrinum) ، يكمل به كتاب «الحرب الأهلية» ، وهو كتاب لا يؤرخ فقط لمعارك قيصر فى الإسكندرية ، بل لحوادث أخرى إلى انتصاره على فارناكس ملك بونتوس سنة ٤٧ عند زيلا (جنوب بونتوس) . وكان ذلك النصر من السهولة بحيث أخبر قيصر مجلس الشيوخ بالعبارة المشهورة "Veni, vidi, vici" أى «حضرت ، فرأيت ، وانتصرت» ولقد أثيرت مناقشات كثيرة حول أمانة قيصر وهرتيوس . انظر

Michel Rambaud "L' art de la déformation historique dans les Commentaires de César"

(فن التشويه التاريخى فى تعليقات قيصر)

Annales de l' Universités de Lyon, Lettres (vol. 23, 410 pp., Paris; Belles Lettres, 1953)

(٣١) الخمسة عشر رجلا امتداد لجماعة أقدم هم decemviri sacris faciundis أو Sacrorum (أى العشرة الموكلون بالأمور المقدسة) . كانوا يعدون أحياناً كهنة لأبوللو ، ويقومون على خدمة الكتب السبيلية ، والاحتفال بالألعاب الأبوللونية ، والألعاب المدنية .. وفى مقابل الكهنة والعرافون المسئولون عن حسن تنفيذ الشعائر الرومانية ، فإن هؤلاء الخمسة عشر كانوا يشرفون على شعائر من أصل يونانى .

(٣٢) وفى هذا التجميع انظر كتابى Introduction ، وفهارس المجلدات ١ ، ٢ ، ٣ تحت ألفاظ العدد ١ ، العدد ٢ ، ... العدد ٤٠ . وكذلك المجلد الأول الفهرست تحت لفظة العدد . ولست تجد شعباً بلغ به الهوس بالعدد مثل شعب الصين — انظر مثلا مجلة ايزيس ٢٢ ، ٢٧٠ ، ١٩٣٤ — ومع هذا يكاد يكون الأمر عاماً .

(٣٣) شيشرون ، أكاديميكا ، ١ ، ٣ ، دونه سنة ٤٥ ق ، م . وقد كتب شيشرون

خطاباً إلى فارو(Ad familiares, IX, 8) يهدى إليه الطبعة الثانية من الأكاديميكا .

(٣٤) أميترنوم على مسافة ٦٠ ميلا تقريباً شمال شرق روما فى إقليم سابن ، وقيل إنها مهد الشعب السابانى .

(٣٥) من الغريب أنه يسمى بالفرنسية دائماً تيت ليف Tite Live ويفهرس تحت حرف التاء T ؛ رغماً عن أن تيتوس أحد الأسماء الأول الثمانية عشر للرومان ، (ويختصر — ت) .

(٣٦) تقع باتفيوم شمال شرق إيطاليا ، فليست فى ترانسبادين غال مثل مديولانوم (ميلانو) بل فى أرض ڤنيتى .

(٣٧) لعله رجع إلى باتفيوم عقب موت أغسطس (١٤ ب . م) ، لأن المقربين من إمبراطور قلما يرحب بهم الإمبراطور الذى يليه . وقد بلغ الثانية والسبعين من العمر عام ١٤ ب. م ، ولعله رغب فى الراحة .

(٣٨) أكبر الظن أنه خطط مصنفه فى ١٥٠ جزءاً ، ليبلّغ بالتاريخ وفاة أغسطس سنة ١٤ . وهذه لاشك خاتمة بديعة ، ولكنه لم يعمر ليحقق غايته . وينتهى كتابه فعلا بموت نيرو كلاوديوس دروسوس سنة ٩ ق . م .

(٣٩) فى سالف الزمان (فى القرن الرابع مثلا) كان الكتاب مقسماً إلى عقود ، والباقى بين أيدينا الأول ، والثالث ، والرابع ، ونصف الخامس . وأثناء عصر النهضة وما بعدها جرت العادة أن يتحدث الناس عن العقود المفقودة من كتاب ليڤى لا عن الكتب المفقودة . وبذلت محاولة لإعادة الكتاب إلى أصله ، أشهرها ما قام به يوحنا فرنسهايم فى أوبسالا . وقد حاول إعادة ستة عقود مفقودة (ستراسبرج ١٦٥٤) .

(٤٠) يعرف القراء من قبل أن أبرز هؤلاء المؤلفين (كاتو ، قيصر ، شيشرون ، فارو) ولكن كان هناك كثيرون غيرهم (فقدت كتبهم الآن) وهم من الكثرة بحيث اعتذر ليڤى فى مقدمته لإضافة مؤلف آخر إلى القائمة الطويلة .

(٤١) ألفت تواريخ وطنية كثيرة بنفس الروح لتمجيد فرنسا أو إنجلترا أو سويسرا . وهذا الضرب من الحماسة أوضح فى الكتب المؤلفة لتمجيد المسيحية أو الإسلام أو أى دين آخر . إن النجاح الوطنى أو الدينى لا يفسر على أنه شىء عارض بل على أنه ثمرة العناية الإلهية ، فالأمة (أو الدين) تعظم على كل ما عداها بسبب الإرادة الإلهية .

(٤٢) تقع ألريا على الشاطئ الشرقى فى كورسيكا .